

انتهينا فيما سبق من سرد وتحليل ما نعتقد أنه أهم الأحداث التي جرت في الفترة من منتصف عام ١٩٢٣ حتى أوائل ١٩٣٥، وقد استبعدنا من أحداث الفترة حادثين وقعنا عام ١٩٢٦.

الأولى هي ما يعتبره بعضهم «محاولة اغتيال ديلي»، والثانية «محاولة اغتيال الشيخ حمد». ويأتي استبعادنا للحادثة الأولى لكونها ليست أكثر من إصابة ديلي بطلق ناربي بطريق الخطأ، ولم تكن المسألة «محاولة اغتيال». أما الحادثة الثانية فليس هناك معلومات متاحة أمامنا عنها سوى أن أربع طلقات أطلقت باتجاه سيارة الشيخ حمد قرب قرية سنابس. وتشير رسالة الوكيل السياسي المؤرخة ١٥/١٠/١٩٢٦ إلى شائعات تدور حول من كان وراء إطلاق النار، وأنه قد يكون البلوش، أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة. هذا ولم تكن للحادثتين أي تداعيات أو نتائج.

ويمكن القول إن الفترة محل البحث كانت - بما حوت - بمثابة سجل لتناج صراع الشيخ عيسى بن علي مع الإنجليز.. فالتطورات الاجتماعية والاقتصادية تشير إلى مجتمع جديد تشكل في أعقاب ذلك الصراع، لكنه لم يتخلص من جميع رواسب المجتمع القديم فكان لا بد من وجود حالات تصادم بين مشروع الإصلاح البريطاني ومن يتأثر سلبا أو يتخوف منه.. فالصراع التقليدي بين «القديم والجديد» أفرز إضراب المدرسين، حيث كان موقف المدرسين ومن أيدهم من الأهالي يمثل دفاعا عن «الوضع المستقر» أي كان هذا الوضع، وأيضا كانت مزاياه وعيوبه. لقد كانت النتيجة النهائية للإضراب هي تغلب الجديد على القديم فجاء نظام تعليمي آخر، وفلسفة أخرى وأشخاص آخرون.

أما احتجاج الغاصة فقد كان نتيجة لإصلاح نظام الغوص من جهة تحديد مبلغ «التسquam» من قبل الحكومة، غير أن السبب المباشر للاحتجاج لم يكن «مبدأ التحديد»، وإنما «المبلغ المحدد»! والذي جاء تحديده مخيباً لأمني الغاصة بسبب ما شهدته تجارة اللؤلؤ من انحسار كان أحد أسبابه هجرة الدواسر من البحرين، وخروج سفنهم من الأسطول البحريني، ونعتقد أن الحركة هي تعبير عن عدم استعداد بعض القطاعات في المجتمع البحريني لمشروع الإصلاح، ولنا أن نتصور الوضع لو أن الشيخ عيسى بن علي وافق الإنجليز على خططهم في ذلك الوقت، فقد كان من المحتمل أن يكون «رد الفعل» أكبر مما حدث في قضية التعليم والغوص.

أما «عريضة الشيعة» - وهي الحركة السياسية الأهم في هذه الفترة فقد لخصت أبرز نتائج الصراع القديم.. حيث اعتقد «أصحاب العريضة» أن بريطانيا حليف دائم للشيعة، إلا أننا رأينا كيف كان موقف الإنجليز المتشدد حيال المطالب التي تضمنتها العريضة، والتي طرحت في اللقاءات المباشرة. ويبدو أن أصحاب العريضة كانوا يعتقدون أن قبول الشيعة بأن يكونوا «حزبا يؤيد بريطانيا» في صراعها مع الشيخ عيسى بن علي، ودعمهم للشيخ حمد في الفترة السابقة على عزل والده سوف يمهّد الطريق لهم للحصول على المزيد من المكاسب. رأينا أيضا كيف حاول أصحاب العريضة «استثمار» موقف الشيعة من الصراع القديم في الحصول على مكاسب طائفية. ولم يكن اندفاع الشيعة نحو الحصول على مكاسب، إلا تحت تأثير انقسام المجتمع البحريني إلى قسمين سني وشيعي كواحدة من نتائج الصراع القديم أيضا..

وبرغم أن الفاصل الزمني بين خطاب نو كس يوم إعلان عزل الشيخ عيسى، وتقديم الشيعة عريضتهم تعدى اثني عشر عاما، فإن موقف بريطانيا الداعم للشيخ حمد انسجم تماما مع التنبيه الذي كان نو كس قد وجهه إليهم حينذاك، والذي كان مفاده وجوب عدم اندفاعهم باتجاه الحصول على مكاسب خاصة.

لقد كان لاعتقاد القادة التقليديين للشيعة بضعف مؤسسة الحكم أثر في «الجرأة» التي طغت على مطالبهم وأسلوب طرحها، واقتران الأمر بالتهديد باللجوء إلى العنف.. غير أن ما لفت النظر هو «حالة التضامن» التي ظهرت بين أفراد العائلة الحاكمة، فلم يتم توظيف مطالب الشيعة لخدمة أي «صراع داخلي»، وهو الأمر الذي يخالف ما كان يحدث في المجتمع القديم، ويخالف ما حدث في فترات لاحقة، كما سنرى في الفصلين القادمين.

لقد أدرك هؤلاء أنه من الصعب بالنسبة إليهم تحقيق أي «مكسب» دون دعم الإنجليز وتأييدهم، وسنرى أن هذا الإدراك تجسد في موقفهم أثناء حركة ١٩٣٨ السنية، وأثناء سنوات الاضطراب السياسي في الخمسينات.

ولا يمكن إغفال حقيقة مهمة.. فقد تزامنت عريضة الشيعة مع تصاعد الخلاف البريطاني - الإيراني حول البحرين، وقيام إيران بدور يمكن اعتباره - بشكل عام - تحريضا. ولسنا نجزم أبدا بوجود رابط بين إيران وتقديم العريضة، فنحن لا نملك دليلا على شيء مثل هذا، بيد أن الأمر قد يكون في إطار شعورهم بوجود «دعم معنوي» - غير مباشر على الأقل - دفعهم ليس إلى تقديم العريضة فقط، بل والتحرك «باستقلالية» عن دعم الإنجليز. إن الأمر يبقى مجرد احتمال قابل للنقاش.

وعلى الجانب الآخر، لا شك أن أحداث الفترة الماضية شهدت بروز نجم بلجريف، الذي تعدى حدود دور المستشار المالي وبسرعة فائقة وأصبح اللاعب الرئيسي الذي كان له تأثير في أكثر من اتجاه، فقد كان يتحرك في جميع أنحاء الملعب، حيث كان موضع ثقة الشيخ حمد والإنجليز والأهالي أيضا.

غير إننا سنرى لاحقا كيف أن بلجريف قد «كبر حتى أضر بنفسه» فأصبح هدفا مشتركا للأهالي والإنجليز في اضطرابات الخمسينات. لقد رأينا أن الفترة الماضية شهدت محاولات دمج الطائفتين السنية والشيعية سواء في المدارس أو المجالس. وهو الأمر الذي لم يكن موجودا من قبل، وبرغم وجود حالة «عدم تقبل» لهذا الدمج، فإنه كان خطوة لا رجعة فيها... بيد أن تحرك الشيعة وسعيهم للحصول على مكاسب خاصة خلق - برغم الاندماج - أجواء عدم ثقة سياسية بين الطائفتين انعكس على الوضع السياسي في المراحل اللاحقة.

وختاما يمكن القول إن أحداث الفترة منذ منتصف ١٩٢٣ حتى أوائل ١٩٣٥ كانت بمثابة «توابع» لما حدث في فترة الصراع القديم.